الكتابة النسوية وسؤال المعرفة ، ديوان حب الوطن للطاوس حمايدية نموذجا

د ـ عقيلة شنيقل

جامعة باجي مختار ـ عنابة ـ الجزائر –

الملخص:

نسعى من خلال هذا المقال للكشف عن مميزات الكتابة اللغوية والفكرية للشاعرة الطاوس حمايدية، وذلك بالتفتيش عن جملة التمثلات التي رسمها هذا الصوت النسوي في ديوان "**حب الوطن**" الذي يعجّ بأبعاد سياسية ووطنية وحضارية وفلسفية، هي جملة البنى التي يستكشف القارئ من خلالها رؤيتها حول الوطن والحياة بصفة عامة.

وقصد إجلاء اللبس ومسح شيب المتاهة عن تجربة الشاعرة، اتبعنا في القراءة الخطة الآتية:

1 ـ في رحاب الأدب النسوي

2 ـ الأدب الشعبي من منظور النقد المعاصر.

2 ـ في ديوان حب الوطن للطاوس حمايدية

المرأة

الوطن

الحب

خاتمة

Summary:

Through this article, we seek to reveal the advantages of the linguistic and intellectual writing of the poet Al-Tawas Hamaydeh, by searching for a set of representations drawn by this feminist voice in the "Patriotism" office, which is filled with political, national, civilizational and philosophical dimensions, which is the set of structures through which the reader explores its vision about the country. And life in general.

In order to clear clothing and clear the maze's grayness from the poet's experience, we have followed in the following plan:

1- In the feminist literature

2- Folklore from the perspective of contemporary criticism.

2- In the office of patriotism for the peacock Hamayda

woman

Motherland

the love

Conclusion

1 ــ في رحاب الأدب النسوي:

الأدب النسوي من الموضوعات الشائكة التي لقيت حضورا متميزا، وحظيت بمتابعة جدية من قبل النقاد وأهل الاختصاص، فعرف الموضوع جدلاً واسعًا وصنع نقاشًا ثرياً، لما يحمله المفهوم من أبعاد إيديولوجية وثقافية، فراح العديد من النقاد يطرقون الموضوع بالتحليل والتفسير والمناقشة، ولعلّ أبرزهم الناقد السعودي عبد الله الغذامي الذي منح المرأة مساحة شاسعة ضمن مشروعه، فخصص كتابًا بأكمله للحديث فيه عن حضور المرأة وسمه ب " **المرأة واللّغة** " بعدما اقترن الخطاب الأدبي لعقود طويلة بالرجل، بعد المحاولات المحتشمة التي عرفتها الساحة الأدبية مثل الخنساء قديما، وعلى إثر هذه السيطرة الذكورية على حقل الكتابة باعتبار الكتابة حكرا على الرجل انطلق عبد الله الغذامي بناء دراسته ، إذ يقول في مقدمة الكتاب:" **تأتي المرأة إلى اللّغة بعدما سيطر الرجل على كل الإمكانات اللّغوية وقرر ما هو حقيقي وما هو مجازي في الخطاب التعبيري، ولم تكن المرأة سوى مجاز رمزي أو مخيال ذهني يكتبه الرجل وينسجه حسب دواعيه البيانية والحياتية**" **(1)** لتنتقل المرأة من موضوع يكتب عنه لذات كاتبة تعبر بقلمها عما

يختلج باطنها من أحاسيس وعواطف، فصارت المرأة تمارس الكتابة وتشق الطريق نحو ابتكار أدب باسمها، إنّه الأدب النسوي " **جاءت المرأة أخيرا إلى الوجود اللّغوي من حيث ممارستها للكتابة فإنّها تقف أمام أسئلة حادة عن الدور الذي يمكنها أن تصطنعه لنفسها في لغة ليست من صنعها، وليست من إنتاجها، وليست المرأة فيها سوى مادة لغوية قرر الرجل أبعادها ومراميها وموحياتها" (2)** ومع التغيّر في نمط المعيشة وكثرة الحروب وحياة القلق التي تعتري المواطن سواء الرجل أو المرأة، فإنّ المرأة قررت أن تدخل تجربة الكتابة وتداعب عوالمها، قررت خوض التجربة ومعايشة القلم، لعلها توصل رسالة معينة، فلماذا إذن يحاول البعض طمس صوتها الكتابي ؟ أوليس للمرأة حق الدفاع ومشاركة الرجل في كل حيثيات الواقع وتفاصّيل الحياة؟؟

إنّ دخول المرأة لحيّز الكتابة من شأنه أن يحقق إضافة معيّنة، ف "**حينما نترك المجال لصوت المرأة كي يتكلم ويعبر، فإنّنا بهذا نضيف صوتا جديدًا إلى اللّغة، صوتًا مختلفًا، ونفتح بابا للنظر ظلّ مغلقًا على مدى طويل وفي كل الثقافات، فلنستنطق هذا الصوت عن إفصاحه وما يدلّ عليه وما يعلن عنه (3)**"

لتوضيح حضور المرأة ضمن ملف الكتابة، انتقينا صوتا نسائيا كرّس حياته للفن والشعر، إنّها الشاعرة الطاووس حمايدية، التي زيّنت حق الشعر بوجدانيات هفيفة تغنى بها القارئ ورددها السامع.

نسعى من خلال هذا المقال للكشف عن مميزات الكتابة اللغوية والفكرية للشاعرة الطاوس حمايدية، وذلك بالتفتيش عن جملة التمثلات التي رسمها هذا الصوت النسوي في ديوان "**حب الوطن**" الذي يعجّ بأبعاد سياسية ووطنية وحضارية وفلسفية، هي جملة البنى التي يستكشف القارئ من خلالها رؤيتها حول الوطن والحياة بصفة عامة.

2 ـ <u>الأدب الشعبي والنقد المعاصر:</u>

حظي الأدب الشعبي بنصيب مشرف من الدراسة والتحليل، لما يختزن بين ثناياه من قدرة رهيبة في التعبير عن الواقع بطريقة أكثر مصداقية، فالأدب الشعبي بلغته العامية والفصحى ومضامينه المتنوعة يملك مؤهلات تجعل منه خطابا حيويا قادرا على استيعاب التجربة البشرية، ونظرا لهذه القيمة الكبيرة التي ينالها أتى النقد الثقافي ليعزز من وجوده ويرفع من شأنه، فجاء النقد الثقافي كآليّة جديدة في مقاربة النصوص الأدبية، يهدف للكشف عن المضمرات التي غفل عنها النقد الأدبي عندما ركّز على الجماليات وساهم في تشّكل بعض الأنساق في النصوص الأدبية وتناميها،ف " **لكن علينا ألا نجنح إلى إنكار أدبية هذه الانماط التعبيرية إذا إنها مكتنزة بالطاقات المجازية والكنائية والترميزية، وتتحرك ضمن أنساق عميقة وخطيرة، والشاهد على ذلك هو في طاقتها التأثيرية الهائلة التي لا ينافسها فيه أي خطاب رسمي مهما بلغ الترويج له أو محاولات ترسيخه، هذا أمر غفل عنه النقد رغم أهميته ورغم قدرة النقد على معالجة هذه الخطابات" (4)** فالتعامل مع النص الأدبي من منظور ثقافي يستدعي حتما يقتضي منا " **أن نحرك أدوات**

النقد باتجاه فعل الكشف عن الأنساق وتعرية الخطابات المؤسساتية والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة"(5) فكان المبدع يتفنّن في تمريرها باسم الجمالية والأدبية، الأمر الذي ساعدها على الاختفاء والترسّخ أكثر، لهذا نادى بضرورة الفكرة التي تنص على أن"**مصطلح أدبي وأدبية لا بدّ أن يتحرر من قيد التصور الرسمي المؤسساتي، بحيث يعاد النظر في أسئلة الجمالي وشروطه وأنواع الخطابات التي تمثله، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا بدّ من الاتجاه إلى كشف عيوب الجمالي والإفصاح عن قبحيات الخطاب، إذ كما لدينا نظريات في الجماليات فإنّه لابدّ أن نوجد نظريات في القبحيات أي في عيوب الجمالي وعلله**"**(6)**، بمعنى أنّ هدف النقد الثقافي هو البحث والتفتيش عن التمثلات المستبطنة خلف النص الأدبي وموضوعه هو النسقي المضمر وليس الأدبي الجمالي وهذا ماسنحاول رصده في هذه الدراسة.

2 ـ البنى المعرفية في ديوان حب الوطن: (7)

يعدّ الخطاب الأدبي من أبرز الخطابات التي تسعى لتصوير الواقع المعيش وترجمة معطياته وتمثيلها في صورة أدبية محضة، ليصبح نسيجًا متجانسًا لجملة من التمثلات الفكرية والسياسية والاجتماعية والحضارية والفلسفية لبيئة الكاتب، فتنتج ثنائية النص الأدبي والبيئة الثقافية، الجدلية التي أسالت الكثير من الحبر على مرّ العصور وشكّلت بؤرة اهتمام النقاد..وفي ظلّ هذه العلاقة الوطيدة بين النص الأدبي وسياقه الثقافي برز للساحة الأدبية نشاطٌ نقديٌ يُسائِل النتاج الأدبي في علاقته بالفضاء الثقافي الذي نتج فيه، نشاطٌ يبحث عن الأبعاد الفكرية والأنساق الثقافية المختفية تحت عباءة الملامح الأدبية في النصوص الأدبية يدعى النقد الثقافي، فهو آلية تفتّش عن المختفي وغير المكنشف الماوراء الأدبي الذي يسعى الكاتب لتمريره باستعماله لآليّات بلاغية وجمالية مختلفة.

النقد الثقافي أَحدَثُ المناهج النقدية المعاصرة فرض نفسه بقوة غير مهتم بمعارضيه، عندما نادى بضرورة استبدال الثقافي مكان الأدبي/ و المرئي مكان المكتوب ..هي نقلة صوّرت التغير الذي عرفه العالم في مختلف مجالاته ، نقلة لم تمس الأدب فحسب وإنّما مسّت جوانب الحياة المختلفة نتيجة للتطور التكنولوجي الرهيب الذي عرفته الإنسانية جمعاء مع ظهور الصورة نسقًا دلاليًا يمثل سلطة العصر ..وهنا فقد المثقف هيبته وصار عصر الشعبي البسيط، وكانت هذه جملة الإنجازات التي هيأت الظروف وأسهمت في بعث هذا النشاط أي النقد الثقافي.

فالنقد الثقافي كما يصرح الغذامي في قوله:" **أرى أنّ النقد الأدبي كما نعهده ومدارسه القديمة والحديثة قد بلغ حد النضج أو سن اليأس، حتى لم يعد قادر على تحقيق متطلبات المتغير المعرفي والثقافي الضخم الذي نشهده الآن عربيا وعالميا** "**(8)** بمعنى أنّ النقد الأدبي لم يعد قادراً على الكشف عن البنيات الثقافية العميقة ، فهذا من مهمة النقد الثقافي أي البحث والتفتيش عن التمثلات المستبطنة

خلف النص الأدبي وموضوعه هو النسقي المضمر وليس الأدبي الجمالي وهذا ما نحاول رصده في هذه الدراسة.

*** المرأة / المرأة الوطن/ الأم العربية:**

المرأة خطاب حضاري حيٌ و متجددٌ يشكّل نسقا مهما في الخطابات الأدبية، يلجأ إليها المبدع لبعث كتاباته، فهي الملاذ والموطن والأصل في النمو والبعث..إذ تشكّل المرأة في كتابات الشاعرة " **الطاوس حمايدية**" قطبا أساسًا ومحورا جوهريا ينمي قصائدها، فتحتلّ مكانة مرموقة في سطور مؤلفاتها وهذا الحضور ليس ساذجًا وإنّما يوحي بالبعد الرومانسي الذي تندرج ضمنه كتاباتها من جهة والطابع الوطني الذي يغلف توجهها من جهة ثانية..وللشاعرة رؤية عميقة في بلورتها لمفهوم المرأة فتعدّ التيمة الأكثر هيمنة وحضور في كلّ كتاباتاها..

تجسّدت المرأة عند الشاعرة في صورتين، المرأة الأنثى(في الحلم والواقع) /المرأة الوطن، فللمرأة – عندها– : صورة المرأة الحبيبة وصورة الوطن وهنا توازي الأرض والزرع والطبيعة، تعمل بكلماته على تحريرها والدفاع عنها وكشف خصالها الحميدة، تقول في قصيدتها الموسومة ب " **لا حبيبتي تعرف نا من هي**" :

" **لا حبيبتي تعرف نا من هي**

نقولك نا بنت الجزائر وبلادي تعز عليا

بنت البيضاء في العالم مسمية

لا حبيبتي تعرف نا من هي

نقولك نا المرأة العربية

بنت الريف البدوية

بنت خيمة الشعر المبنية والغنم تروح من العشية"(9)

ففي المقطوعة تصوير فوتوغرافي لنمط المعيشة بإحدى قرى الجزائر، بما فيها من طقوس رعي الغنم وخيمات الشعر، لتنتقل بعد ذلك للحديث عن جود و كرم المرأة الجزائرية وحسن ضيافتها فتقول:

"**مولات العودا المربوطة**

مولات القصعة الممروطة

وكرم الضيف راهو ليا"(10)

وفي قصيدة أخرى تتناول الشاعرة موضوعا مهما، لهو الحديث عن إسهامات المرأة وكفاحها وتعاونها مع الرجل وتقديم يد المساعدة له في المحن، تقول في قصيدة "**بنت الصحراء** ":

"**تغنو على بنت الصحراء والواد**

الريم الشارد كسباتو لسياد

بنت الجزائر ماتحقرهاش

دارك بلا بيها ماتحلاش

بنت الجزائر لخوها عاناتو

في وقت الثورة راهي رافقاتو.."(11)

فهاهي تردد خصال المرأة الصحراوية والجزائرية وتثني على مساندتها للرجل في أوقات الشدة، فقد صعنت تاريخا ومجدا جعلها تدخل التاريخ بفضل قوتها ووطنيتها وذكائها.

من خلال هذا الطرح نكتشف أنّ المرأة عند الشاعرة الطاوس حمايدية ليست مجرد إكسسوار يتزين به النص الشعري بقدر ما هي موضوع مكتمل بدلالاته يجسّد المرأة العربية شكلاً ومضمونًا.

الهوية/ الوطنية:

الهوية مصطلح صعيد رحب يحتاج للبحث والتقصي، يحمل جملة من الأبعاد، وما زاد من هلامية المفهوم كثرة الأزمات والصراعات الفكرية في وقتنا الراهن، إذ لا يمكن لأيّ كان التنصل من هويته والانفصال عنها،كونها روح الأمة وعنوان وجودها، ومنها تستمّد عناصرها ومقوماتها، إذ تتجلى هوية الفرد في روحه وأصله وعقيدته ودينه ولغته وعاداته وتقاليده، بمعنى أنّ للهوية بعد مادي ومعنوي، هي الأساس التي تبنى عليه جماعة ما، وعليها تتأسس كلّ الخطابات ومنها تصنع كلمتها،لاسيّما الخطاب الشعري الذي جعل من حيثياتها مادته الخام وركّيزته الأساسية في بنيته السردية، ليبقى ملف الهوية سؤال يطرح نفسه، ملقي بعباءته على سرير السطور الإبداعية، يحمل في جيناته معانٍ عدّة تتمظهر في الثنائيات التالية:الأصل/الفرع، الأنا/الآخر،الذات/الغير، الثابت/المتغير، الوطن/ اللاوطن، اللّغة العربية/ اللّغة الفرنسية... هي جملة التقاطبات التي من خلالها يستمد النص الأدبي وجوده، تقول الشاعرة في قصيدتها" الوطن":

" **حب الوطن موجود**

بحر ومالو حدود

والطن ليه رجال

ورجال رام اسود" (13)

فحب الوطن من الإيمان وحب الوطن ثقافة راقية تسعى الشاعرة لترسيخها، فكما يقال من باع وطنه كمثل من يسرق مال أبيه فلا اللص سيكافئ عمله ولا الأب سيسامحه، فالشاعرة هنا تؤكد على فكرة الوطنية المترسخة في الأعماق ، وتحاول أن تدفع القارئ إلى تذوق فنجان الوطنية تقول:

وطني مانبيعوش

ومانبدلوش ببلاد النصارة

والعدو على وطني مانمنوش

نحرص على وطني نأمن عليه نجند الجيوش

وطني الجزائر الغالي

بكنوز الأرض ما نبدلوش"(14) ص 61

في الكلمات شعلة لبث اليقين وزرع الثقة والوطنية في النفوس وتحريك الوجدان وهز الإحساس.

لم تقتصر الشاعرة على الحديث عن وطنها الأم فقط و إنما راحت تعالج موضوعا مهما يمس كل العرب، إنما هو موضوع القضية الفلسطينية، ففتحت الجرح في قصيدة تراجيدية تشرح الواقع المؤلم الذي تعيشه فلسطين:

" ويا وخذي على فلسطين

راح شبابها خسارة

ليل ونهار ديار تتهدم والحرب نار وشرارة

يا وخذي على سكان فلسطين

هدموا محالهم وخرجوهم من الديار " (15)

في قصيدة أخرى وسمتها ب " **الجزائر وفلسطين**" حاولت الشاعرة التعبير عن مدى وقوف الجزائر مع فلسطين في قصائد عديدة تغنت بعلاقات المودة والأخوة والألفة مابين الشعبين:

" الجزائر وفلسطين

اليد في اليد متضامنين

بالسلام لازم نطبقوه

في العالم العربي

إسرائيل لازم نخرجوه

والقدس نحرروه" (16)

الحب/ البحث عن السعادة:

الحب بنية فلسفية شغلت المفكرين منذ القديم، فهو من الحالات العاطفية التي تبنى عليها شخصية الإنسان وبواسطته تنجح عملية التواصل وتتحقق الاستمرارية، ف" **ليس الهدف تخصيص الحب بمصير سعيد أو تعِس، بل هو تشخيص التّولُّه الشغوف، سواء اختُتم بالفرحة أو التعاسة، وستستمر شهرزاد في الظهور دائما لتتحدث عن خلود هذا البحث عن الذات" (17)** وللحس الرومانسي في ديوان "حب الوطن " نصيب كبير، فترجم البعد العاطفي بمشاهد كثيرة، ساهمت في التنويع في خيط النظم، تقول الشاعرة في قصيدتها" أغنية حسنة"

"ياطفلة راكي قتلتيني وعقي اديتيه

نظرة عينك مغرب دامس طاح الليل عليه

ياطفلة في حبك مانسبل مانعرف خوف

لاهلك نتقدم ونطلب ايديك ونبقى انا معروف

ياحسنة حرام عليك راني عاشق فيك

ولو يعطوني كنوز الدنيا مانبدلها بيك" (18)

فبالإضافة إلى البعد الوطني الذي طبع قصائد الديوان نلمس الحب تيمة بارزة تغلف رؤية الشاعرة اتجاه الكون،التي نطلق من نفس جائشة محاولة الاغتراف من جب السعادة من خلاه مشاهد الغزل العفيف، فراحت ترسم صورة العاشق بمحبوبته وتصور مشاهد رومانسية بروح خفيفة ونفس عذبة.

خاتمة:

وصفوة القول، إنّ الاعتماد على الممارسة الثقافية في ديوان " حب الوطن " للطاوس حمايدية ، قد أفصحت للقارئ عن جملة الأنساق والبنيات التي تفاعل معها الديوان، فلاحظنا التداخل والتبادل والتقاطع بين الديوان كنصٍ أدبيٍ وبين المعارف والأنساق المجاورة كالأنساق السياسية و الفلسفية والتاريخية والاجتماعية متمثلة في المرأة والوطن والهوية والحب .

هوامش البحث:

1 ـ عبد الله الغذامي: المرأة واللّغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط3، 2006، ص7.
2 ـ المرجع نفسه، ص 8.
3 ـ المرجع نفسه، ص ص 8– 9.
4 ـ عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005، ص 61.
5 ـ المرجع نفسه. ص 15.
6 ـ المرجع نفسه، ص 59.
7 ـ الطاوس حمايدية: حب الوطن، منشوارت اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2009، ص2.
8 ـ عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف : نقد أدبي أم نقد ثقافي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2004، ص 12.
9 ـ الطاوس حمايدية: حب الوطن، ص5، 6.
10 ـ المصدر نفسه، ص 7.
11 ـ المصدر نفسه ، ص ص 32،33.
12– المصدر نفسه، ص 80.
13 ـ المصدر نفسه، ص 61
14 ـ المصدر نفسه، ص 62.
15 ـ المصدر نفسه، ص 86.
16 ـ المصدر نفسه، ص 64.
17 ـ زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، مكتبة مصر، (د. ط)، 1984، ص 08.
18 ـ الطاوس حمايدية ، ص 41– 42.